الأحجار والمجوهرات ومدى تأثيرها الطبي من خلال دراسة أبن الأكفاني

أ.د. فريال داود المختار
قسم الآثار ـ كلية الآداب
جامعة بغداد

المقدمة

عرف العرب ، منذ القدم ، الأحجار الكريمة وعنوا بإقتناء أنواعا عديدة منها ، حيث كانت من أهم واردات سكان بلاد وادي الرافدين من السومريين والبابليين ثم الآشوريين ، كما عرفها المصريون القدماء وغيرهم من الشعوب القديمة ، فوجدت في قبورهم ومدافنهم وخزائن كنوزهم، مثل الياقوت الأحمر واللازورد واللؤلؤ . بالإضافة إلى ذلك فقد كان معدني الذهب والفضة من المعادن الوفيرة في هذه البلاد ، ولها الأولوية في صناعة الحلي.

من المعلوم ان قصة الحلي قديمة قدم الإنسان نفسه ، ولعلها بدأت مع تدوين التاريخ على الطين والحجارة ، ثم تنوعت على مر العصور . من جانب آخر أثبتت النصوص التاريخية ان العراقيين القدماء كان لهم ثلاث محطات تجارية تزدحم بفنهم خلال الألف الثالث ق.م. هي : دلمون ، ماكان، وميلوخا[١] .وقد أشار الملك الأكدي سرجون(٣٣٧٠ق.م.) إلى ذلك كما كانت السفن العراقية(في بداية سلالة أور الثالثة ٢٠٠٠ق.م.) تحمل المنسوجات الصوفية والزيت والمواد الجلدية إلى(ماكان) ، ساحل عُمان لتأتي بالنحاس والأحجار الكريمة والعاج[٢] . وكانت العقود المبرمة بين الأطراف التجارية تُقيّم بالفضة[٣] . وفي سنة ١٩٠٠ق.م. ، كان منن أبرز واردات أور ، الميناء الرئيس لبلاد وادي الرافدين ، النحاس بشكل قضبان ، وكذلك اللازورد واللؤلؤ(عيون السمك) ، وهي علامته الرمزية المميزة ، إضافة إلى أنواع متعددة من الخشب . ومن المحتمل ان هذه المواد كانت تصل إلى دلمون من مناطق أخرى ربما كانت مصر أو وادي الهند، ومنها تحمل إلى أوربا .

ودلت المكتشفات الآثارية في العراق ان أول الصناعات الحرفية التي عرفها الإنسان العراقي هي صناعة الحلي المطعمة والمرصعة بالأصداف والحجارة ، وتعد كل قطعة منها آية في الفن والصناعة المتقنة والذوق الرفيع . ولم يقتصر ذلك على حلي النساء ، بل شملت صناعة التيجان والقلائد وحلي الملوك والأمراء من الرجال أيضا ، وكذلك الأواني والأدوات والأختام والسلاح والتماثيل ، نُفذت جميعها بدقة بالغة[٤] .

وقد تضمنت هذه التحف مفاهيم متعددة لدى العراقيين القدماء ، فهي لا تقتصر على كونها عنصرا جماليا فحسب ، وإنما تعداها إلى علاقات ومفاهيم فكرية أو الإعتقاد بإحتوائها قدرات اسطورية[٥] وقدسية ، وجاء ذلك في نص يُقرأ فيه قسم الإلهة عشتار بجواهر قيّمة مصنوعة من حجر اللازورد وهي ترمز إلى السماء والنجوم[٦] .

وفي الغالب كانت الحلي تدفن مع الموتى حيث وجد بعضها يزين رقبة ومعصمي الميت نذكر منها : قلائد نسائية تعود لبعض السومريات الموسورات (الألف الثالث ق.م. ، نحو ٢٤٥٠ق.م.) مصنوعة من الحجارة الثمينة ذات الألوان الزاهية ، كما وجدت قطع من الذهب منظمة بشكل متناسق تدل على ذوق سليم وروح فنية ومهارة واسعة في صنع الحلي والمصوغات وترصيعها بالأحجار منها : اللازورد والعقيق بأنواعه وخاصة الأحمر يخالطه اللون الأسود مع قليل من اللون الأبيض[٧] .

ومن الوركاء قلادة ثمينة وجدت تحت الضلع الشمالي الشرقي من الزقورة ، محفوظة الآن في المتحف العراقي[٨] ، تتألف من سلك من الفضة نُضدت فيه قطع من حجر السليماني مؤطرة بالذهب ومرصعة باللؤلؤ والعقيق اليماني الأحمر كُتب على آخر قطعة صغيرة منها بالخط المسماري ان(امرسن) ملك أور(٢٠٤٥ ـ ٢٠٣٧ق.م.) أهدى هذه القلادة إلى(ابا ـ بشتي) الكاهنة الكبرى في معبد(إي ـ أنّا) في اورك[٩] . كما وجدت مصوغات ذهبية ومجوهرات أخرى رُصعت بالأصداف والأحجار الثمينة كالخناجر والقيثارة في المقبرة الملكية في أور(٢٤٥٠ق.م.).

بالغ البابليون والآشوريون بإستخدام الحلي والملابس المطعمة بالأحجار الكريمة ، وتوضح لنا ذلك تفاصيل لمنحوتات آشورية ولُقى آثارية ، نذكر منها نص كتابي معنون إلى الملك الآشوري إسرحدون جاء فيه : ان الأختام الإسطوانية التي سلمني إياها سيدي الملك تليق بتاج الإله آنو ، أما ما يتعلق بأحجارك فإنها تليق كزينة على شكل إسطواني[١٠] . وكانت قطع الأحجار الثمينة تُثبت أيضا على الملابس بواسطة أسلاك أو خيوط الذهب(gukkha ssu)[١١] . وتأخذ هذه الأحجارأشكالا زخرفية هندسية منها وحيوانية مثل الأسد والغزال ، وكذلك عناصر نباتية كعنصر الرمان وعنصرشجرة الحياة أو الشجرة المقدسة في ملحمة كلكامش ، وجاء ضمن وصفها : " ... ثمارها العقيق وتحمل أوراقا زرقاء لازوردية ..."[١٢] .

عرف الآشوريون ، وبشكل متطور جدا ، طرق إستخلاص الصبغات اللونية من الأحجار الثمينة وغيرها[١٣] ، إذ عُثر على بقايا صبغات في قصر سرجون الثاني في خرسباد ، ومن الجدير الإشارة إلى مجموعة العلب العاجية ضمن كنز قصر آشورناصربال الثاني(٧٢٠ق.م.) ، وأغلبها مُطعم بالذهب واللازورد والعقيق الأحمر ، كانت تُحفظ فيها الحلي والجواهر الثمينة ، ويُقرأ على إحداها كتابة مسمارية تضم إسم الملك سرجون(٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م.)[١٤] ، وفي آشور ، نهاية الألف الثاني ق.م. وجدت : دلايات مُطعمة بشكل وريدات من الأحجار الكريمة عُثر على مثلها في ماري(الزوية) جنوبي شرقي بحيرة اورميا[١٥] ، وكان منها ختم من العقيق الأبيض ذو إطار وسلسلة من الذهب تنتهي بكلاّب من النحاس تم العثور عليه في قبر سيدة آشورية(نهاية القرن الثامن ق.م.)[١٦] .

ومن الحضر تمدنا المنحوتات والتماثيل الحجرية بما يشير إلى إستخدام الجواهر والأحجار الكريمة في زخرفة الملابس وأغطية الرأس[١٧] ، ومن سلوقيا ، قبل الإسلام ، عُثر على مجموعة من الحلي الذهبية مرصعة ومطعمة بحبات اللؤلؤ

بأحجام مختلفة وكذلك أحجار الياقوت واللازورد[١٨] . وتتحفنا النصوص التاريخية والأشعار العربية بذكر نماذج عديدة من حلي المرأة العربية المطعمة بالأحجار الكريمة نذكر منها : ما قاله حاتم الطائي :

ونحراً كفى نور الجبين يزينه توقدت ياقوت وشذر منظما[١٩]

وفي النصوص التاريخية ذكر لعديد من الكنوز الذهبية المطعمة والمرصعة بالمجوهرات كانت ضمن غنائم العرب المسلمين شملت تيجان الرأس والدروع والمناطق مكللة باليواقيت والزمرد[٢٠] ، منها إبريق من ذهب مرصع باليواقيت والزبرجد[٢١] غنمه المسلمون في يوم القادسية ، ومن المدائن كان البساط الشهير ويُعرف بـ (القطيف) ، خلفه الفرس بعد إنهزامهم أمام الجحافل العربية الإسلامية ، و وصفه الطبري في تاريخه : مربع الشكل مساحته ستين ذراعا × ستين ، منسوجا من الحرير على قضبان من الذهب ومحلى بالأحجار الكريمة ، زخارفه تمثل الطرق والأنهار وفي حافاته ما يشبه الأرض المزروعة والمبقلة بالنبات في الربيع ...[٢٢] .

وما ان بزغ نور الإسلام من قلب الجزيرة العربية وإمتد إلى أطرافها ، ونشر بأشعته على بلاد الشام والعراق ومصر وغيرها من بقاع الأرض حتى إستحوذت العبقرية العربية على ما كان فيها من فنون مستندة على جوهر الفنون القديمة لتلك البلدان ممتزجة بالنبع الإسلامي الفياض بالإيمان ، فأضفى عليها حياة حققت ظاهرة الوحدة مع التنوع ، فكان هذا هو الفن العربي الإسلامي .

ظل إهتمام العرب المسلمين منصبا على تنفيذ صناعة الحلي والتجويد فيها ، وأما ما يخص إستخدام الأحجار الكريمة والجواهر فقد أصبح علما يشمل دراسة الأحجاروالجواهر كافة ، سواء كانت معدنية الأصل كالماس والياقوت أو حيوانية بحرية كالدر والمرجان ، أو نباتية كالكهربا الأصفر والأسود[٢٣] ، وتتضمن الدراسة أيضا تمييز الجيد من الردىء أو المغشوش حيث وضعت خصائص لكل نوع منها[٢٤] .

نال هذا العلم إهتماما بالغا وتقدما على يد الكثير من العلماء العرب من خلال ما قدموه من دراسات قيّمة في ذلك المضمار أبان العصور الإسلامية ، فكانت كتاباتهم في مجال هذا الفن الرفيع من أحسن ما كتب ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الكندي المعروف بفيلسوف العرب [٢٥] ، وأبو الريحان البيروني، وهو من أعظم علماء الإسلام ، نبغ في علوم كثيرة ، فهو الفلكي والرياضي والجغرافي والفيزيائي والمؤرخ خلال الفترة(٣٦٢ ـ ٤٤٠هـ) ،له كتاب معروف وضعه حول الجواهر ويحمل عنوان(الجماهر في معرفة الجواهر)، فاق فيه سائر الكتب التي سبقته في وصف الأحجار الكريمة إذ أثبت فيه الثقل النوعي لأكثر الجواهر والفلزات ، كما أثبت العلاقة بين معرفة الثقل النوعي وصلابة الحجرو بين التمييز للجواهر الثمينة من المغشوش منها والتي تشابهها في اللون ، ولأجل ذلك إستخدم البيروني وعاءُ مخروطي الشكل ذا مصب بالقرب من الفوهة يتجه إلى الأسفل ، وبعد قياس الثقل النوعي للمعادن والأحجار الكريمة توضع في هذا الوعاء المملوء بالماء حتى المصب

فتزيح كمية من الماء مساوٍ لحجمها يفيض من المصب ، ثم يزن الماء المزاح وتُحسب النسبة بينه وبين وزن المادة المطلوبة ، وبهذا يُعرف الوزن الثقل النوعي للحجر[٢٦] .

ويرينا الجدول التالي تقييم الثقل النوعي للأحجار الكريمة كما جاء عند البيروني [٢٧] .

أنواع الحجر الكريم	قيم البيروني للثقل النوعي منسوبة إلى الياقوت الوزن النوعي الياقوت=١٠٠ الماء=١	القيّم الصحيحة للثقل النوعي منسوبة إلى الماء
الياقوت الأحمر	٩٧/١٢٥ ٩٠/٤٥٨	٤/٠١ ٣/٧٣
الزمرد،الزبرجد	٦٩/٥	٢/٨٦
اللازورد	٦٧/٨١	٢/ ٨
اللؤلؤ	٦٥/٥٨	٢/٧
المرجان،العقيق	٦٤/٧٥	٢/٦٧
المرجان اللامع	٦٤/٥٤	٢/٦٦

	٣/٩ ـ ٤/٤
٢/٦٧٨ـ٢/٧٧٥	
حوالي ٣	
٢/٦٥ ـ ٢/٦٨٤	
٢/٥ ـ ٢/٧	
٢/٦	

ومن العلماء نذكر كذلك التيفاشي وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف القاهري ، من مصر ، صاحب كتاب(أزهار الأفكار في جواهر الأحجار) ، يُعرف القارىء ، من خلاله ، على خمسة وعشرين نوعا من الأحجارالكريمة ، مبينا أنواعها ، وخصائصها ، وأثمانها ، معتمدا على ما كان منها في أسواق بغداد والقاهرة . وكتابه هذا ذو فائدة بالغة لدارسي فن الأحجار أمثال س . ف . رافيوس ، الذي كتب فيما بعد عن الأحجار الكريمة عند العرب ، كما قام الكثير من الكتاب الغربيين بنقل ترجمة معظم المؤلفات العربية إلى لغاتهم .

إبن الأكفاني وكتابه (نخب الذخائر في أحوال الجواهر)

***حياته**

هو أبو عبدالله شمس الدين محمد إبن إبراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري المعروف بإبن الأكفاني ، نسبة إلى الأكفان التي كان يبيعها[٢٨]. ولد في سنجار أحد

أقضية الموصل ، وطلب العلم فنبغ في عدة فنون وعلوم ، ومارس الطب في مصر ، وكان فيلسوفا ومهندسا ومؤرخا وأديبا . قال إبن سيد الناس عنه :
"ما رأيت من يعبر عن ضميره بأوجز من عبارته ، ولم أر أمتع منه ولا أفكه من محاضراته"[٢٩] . وكان عالما روحانيا يستحضر الأرواح وقادرا على التنويم[٣٠] ، وله خبرة واسعة في معرفة الجواهر والعقاقير ، كثير التأنق في مأكله ومشربه وملبسه ، إنقطع في آخر حياته عن التردد إلى المرضى[٣١] ، وله مؤلفات عدة تبحث في أنواع العلوم ، نذكر منها (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد) ، وفي الطب (غنية اللبيب في غيبة الطبيب) و (نهاية القصد في صناعة الفصد)[٣٢] وغيرها .وتوفي إبن الأكفاني في القاهرة عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م[٣٣] .
نقرأ في الصفحة الأولى من كتابه(نخب الذخائر في أحوال الجواهر) :" فهذا كتاب لخصت فيه خلاصة كلام الأقدمين والمتأخرين من الحكماء المعتبرين في ذكر الجواعر النفيسة بأصنافها وصفاتها ومعادنها المعروفة وقيمها المشهورة المألوفة وخواصها ومنافعها بأوضح لفظ وأصح معنى " ، ثم يضيف " وميزت فيه القشر من اللباب"[٣٤] . وعند خاتمة الكتاب يبين إبن الأكفاني ان الكتاب إقتصر على ذكر الجواهر النفيسة فقط فيقول :" ... وإقتصرت على ذكر هذه الجواهر لأنها النفيسة التي تذخرها الملوك والأكابر وتتحلى بها الغواني ..." ، وتشمل الياقوت ، البلخش ، البجاري ، الماس ، الدر ، اللؤلؤ ، الزمرد ، الزبرجد ، الفيروزج ، البلور ، الجمز ، الدهنج الشب ، البادزهر(البازهر) ، الخرثون . ويبين إهماله عمدا للأحجار الأخرى لعدم فائدتها وقلة مرتبتها عن المجوهرات الثمينة مثل المرجان والسبج ، ويختم الكتاب بالحمد لله تعالى والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وآله وصحبه الطاهرين ، ثم نقرأ عبارة " وحسبنا أالله ونعم الوكيل"[٣٥] .

وصف المخطوط

توجد من هذا المخطوط عدة نسخ موزعة على دور الكتب[٣٦]، إحداها في خزانة كتب الآباء الكرمليين في بغداد ، وهي نسختنا هذه ، ويبلغ طول النسخ١٨,٥سم وعرضها ١٣سم ، تتألف من (٥٦) صفحة من ورق ذو لون مائل إلى الصفرة ،تضم كل صفحة منها تسعة أسطر ، كتبت بالخط النسخي البديع ، سهل القراءة ، ومن المحتمل ان يكون بخط المؤلف نفسه ، أو ربما أحد معاصريه من المصريين المماليك . ومما يلاحظ ان المقطع الأول من عنوان المخطوط نفذ بحروف مذهبة يحيط بها إطار يتألف من خط دقيق أسود نقرأ فيه المقطع الأول من إسم الكتاب : (كتاب نخب الذخائر) ، أما المقطع الثاني للعنوان فقد تم بلون أزرق مائل إلى السواد نقرأ فيه(في أحوال الجواهر) ثم كتابة بحروف دقيقة جاء فيها:" كتب برسم خزانة الكتب الخاصة بسيدنا ملك الديار المصريةفي سنة ٨٧٩هـ " . وقد تعرض المخطوط للسرقة ، وحاول السراق إخفاء الكتابة بإلصاق ورقة بيضاء عليها ، ولكنه إستعيد سنة١٩٣٠ ، علما ان المخطوط خال من ذكرإسم الكاتب وتاريخ الكتابة[٣٧] .

الأحجار الكريمة خصائصها ومميزاتها

تطلق كلمة حجر كريم على الأحجارالنفيسة وشبه النفيسة ، وقد يدل إسم الحجر الكريم على أنواع عدة يوهم الناظر إليه ، ولكن المتمرس في معرفة الأحجار النفيسة يمكنه التمييز بين أنواع الحجر الواحد ، من خلال معرفة لونه أو صنفه أو مائه أو إشعاعه ، وقيل أصل الجوهر الدر[٣٨] .وللتيفاشي رأي في ذلك إذ يقول :" الجواهر إسم يطلق على الصغير والكبير من اللؤلؤ ، فما كان كبيرا فهو الدر ، وما كان صغيرا فهو اللؤلؤ" ، ويضيف " الجوهر إسم عام لجميع الأحجار المعدنية ، ومن خواصه أن يكون قشورا رقاقا ، طبقة على طبقة ، وما لم يكن كذلك فليس بجوهر مخلوق بل مدلس مصنوع "[٣٩] .

ويعرفه إبن سيده ضمن قوله عن الحلي :" هي كل ما تزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة " و يقول الشاعر :

كأنها من حسن وشاده والحلي حلي التبروالحجارة[٤٠]

ويحدد المغربي كلمة الجوهر بقوله :" هي التي تكون في صدفة مغطاة بلحم الحيوان البحري"[٤١] .والمقصود بها هنا اللؤلؤ ، وبهذا يتفق مع كل من إبن الأكفاني والأبشيهي وكذلك التيفاشي .

إن معظم الأحجار الكريمة معادن غير عضوية ، يصل مجموع أنواعها إلى ما يقارب الألفين أو أكثر[٤٢] ، تكوّن بعضها نتيجة لعمليات حيوية كاللؤلؤ والمرجان و الكهرمان وغيرها[٤٣] ، وعلى أية حال فقد إمتازت الأحجار الكرية كافة بسحرجمالها وبريقها وصفاء لونها[٤٤] ، ويمكن التمييز بين الحجر الجيد والحجر المغشوش من قبل المتخصص بالطريقة التالية :

ولنأخذ حجر اللازورد مثلا ، توضع كمية قليلة منه على صفيحة حديد موضوعة فوق نار ، فإذا ما تغير الحجر ، بفعل الحرارة ، فهو مغشوش وإن خرج أزرق فهو جيد ، أو يُدعك بقطعة نسيج أبيض فإن ترك أثرا عليها فهو مغشوش ، وإن لم يترك فهو جيد[٤٥] .

ويذكر إبن الأكفاني :

" وان أجود ألوان الياقوت كلها ما توفر صبغه وماؤه وشعاعه وخلا من النمش وهي نقط بيضاء وسوداء أو بقع تخالف لونه الأصلي "[٤٦]. وللتمييز بين الجيد من اللؤلؤ والمغشوش ، فإن اللؤلؤة الرطبة تكون كاملة الحسن لاعيب فيها وتُعرف بـ (قصبة) أيضا ولاسيما إذا كانت مستطيلة في تجويف[٤٧] .

لقد عرف الإنسان منذ القدم إستخدام الأحجار الكريمة ، وإتخذ البعض منها زينة له ، والبعض الآخر حجابا أو طلسما وتعويذة ، وإتخذ منها كذلك الأدوية لمعالجة المرضى والتحصين ضد الأرواح الشريرة ، كما إتخذ من الأحجار خاتما ذا طابع رسمي فكان رمزا للسيادة وسمو المكانة ولهذا إقتصرإستخدام هذا الجانب من الإستعمال، في الغالب ، على الملوك والنبلاءوالطبقات العليا من المجتمع . ولحسن الحظ فإن صلابة الجواهر والأحجار الكريمة ومتانتها ساعدت على الإحتفاظ بأشكالها

قرونا طويلة ، فكانت خير وثيقة دراسية دلت على مقدرة الفنان في تسخير هذه الأحجار ، رغم صلابتها ، وتعامله معها بأشكال فنية فظهرت تارة منحوتة ، وتارة أخرى منقوش عليها بالألوان ، مما يزيد من تألقها ، أو يكتفي بصقل سطوحها وإبرازألوانها وصفاء بريقها .
تشترك الأحجار الكريمة بثلاث خصائصأو مميزات هي ، الجمال أولا ، ثم المتانة ثانيا ، والندرة ثالثا ، وإذا لم يتوفر أحدها فلا يسمى الحجر كريما أو جوهرا .
وتتمثل الميزة الأولى بأصالة الألوان التي يتركب منها لون الحجر ، وعلى الرغم من ان معظم الأحجار الكريمة لا لون لها فهي صافية نقية ، ولكن إذا ما علقت بها الأوساخ أو دخلت عليها مادة غريبة ، فإنها تطغي بلونها على لون الحجر الأصلي وتكسبه الصبغة فتظهر بذلك اللون المكتسب أو المستعار مثل لون الفيروز ، ولونه أخضر لإحتوائه على مركب النحاس الأخضر،وهو مادة جوهره ، أو يكون الحجر أحيانا بلونين أو أكثر فيسمى كل واحد منها إسما خاصا مثل الفيروز الأخضر والفيروز الأزرق أو حجر الياقوت الأحمر والياقوت الأزرق ثم العقيق[٤٨] .
وقيل في جمال الأحجار :" إن خير الأحجار ما ثقل وزنه وطاب ريحه وسهل حكه وظهر نفعه"[٤٩] . أما متانة الحجر فتتمثل بإنتظام أشكال بلورات الأحجار الكريمة ، أو ما يُعبر عنه بالتبلور أي (النظام البلوري) مكونا الأشكال الهندسية الخارجية ، ومدى صلادتها ومرور الضوء منها ثم إنتقال الحرارة فيها ...الخ . إن كل ذلك يحصل نتيجة تنظيم خاص في ذرات الماء داخل البلورة الواحدة ، يتنوع بإختلاف تنوع الحجر ، وتحد البلورة الواحدة بعدة وجوه تُعرف بالسطوح ، تكون أحيانا صغيرة المساحة تساعد على زيادة بريقها لإنعكاس الضوء وإنكساره منكل سطح كما في حجر الماس . وتتقابل هذه السطوح في خطوط مستقيمة تسمى حروف البلورة ، والزوايا المحصورة بينها تُعرف بزوايا البلورة .
وفي اللؤلؤ قيل ان أفضل الجواهر المفردة(القارة ـ قاف ألف فراءمشددة فهاء) وهي المستديرة الشكل من جميع الجهات ، المستوية لاتضريس فيها ، ولاطول ، ولاتفرطح ، ولا إعوجاج ، تسميها العامة (المدحرجة) ويسميها الجوهريون (القارة)[٥٠] ، كل ذلك يذكره إبن الأكفاني بالتفصيل ، ونقتطف من قوله :" يختلف اللؤلؤ في شكله فمنه المدحرج ويُعرف بـ (العيون) ، وإذا كثرت إستدارته وماؤه سمي (نجما) ، ومنه (المستطيل الزيتوني) ومنه (الغلامي) وهو المستدير القاعدة المحدد الرأس كأنه مخروط ، ومنه (الفلكي) المفرطح ، ومنه (المنشرس) وهو أدونها شكلا[٥١] .
يتوقف العمل في نحت الأحجار وتقسيمها علىمدى صلابتها إذ يحتاج الفنان النحات إلى آلات قوية ودقيقة يتم فيها تقطيعها ونحتها ، ثم تسوية وصقل وتنسيق سطوحها الخارجية . ويسبق ذلك فحص القطعة الحجرية لمعرفة نوع البلورة وشكلها وسلامتها من العيوب أو التشقق . وتحدد بعدها زاوية يبدأ منها القطع ويستعمل لذلك المداد الأسود ثم تُقسم القطعة إلى قسمين متعادلين تقريبا ، وما تبقى من القطعة بعد التقسيم يُعاد تقسيمه إلى قطع أصغر فأصغر حسب الرغبة . ويستعمل منشار خاص لهذا

الغرض ، يتراوح قطره بين بوصتين إلى ثلاثة يدور بسرعة (٥٠٠ /٢ ـ ٠٠٠ /٤) دورة في الدقيقة[٥٢] . وتوضع قطعة الماس في ممسكة ذات رأس كأسية الشكل من المعدن ، وتثبت بالجبس والغراء . أما الجزء المطلوب إزالته فيبقى خارج الكأس ، ويستغرق نشرقطعة الماس ذات القيراط الواحد حوالي ثماني ساعات ، أما القطعة الكبيرة فتحتاج إلى أيام . ولإبن الأكفاني طريقة في قطع الماس يذكرها بقوله :" إذا طُرق الماس بمطرقة على سندال نكأ فيهما ولا ينكسر أي أثر في المطرقة والسندال ، وإذا لُف في صفيحة اسرب وضُرب إنكسر"[٥٣] . وفي نفس المعنى ذكر الأبشيهي :" ومن عجيب أمره انه إذا اريد كسره جُعل في إنبوبة قصب وضُرب فإنه يتقدم ويذوب ، وإذا وضع في مشمع أو قار وصُب عليه دم تيس وقُرب من النار ذاب"[٥٤] . ولصلابته غالبا ما تُعمل المثاقب والمقاطع من الماس لقطع الأحجار وخاصة الياقوت. إن هذه الطرق الفنية شبيهة بما يجري عليه في يومنا هذا ، وهي تحتاج إلى مهارة ودقة ، فلكي يحصل على جوهرة متناسقة الشكل ذات إطار يبهج النظر وذات سطح محدب ، وسطح آخر سفلي مستوي ، بعضها مقعر أو محدب السطحين الأعلى والأسفل ، كما في أحجار الياقوت والفيروز ، ومنها تقطع بشكل مربع أو مستطيل ، ذو أسطح جانبية متعددة تصل إلى خمسين سطحا ، أما القطع الصغيرة الحجم جدا فتعرف بإسم رمال الأحجار[٥٥] ، ويُذكر ان العراقيين القدماء برعوا في هذا الفن منذ (الألف الثالث ق.م.) أي ٤٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ سنة ق.م. ، وعلى مدى العصور التاريخية القديمة والإسلامية وليومنا هذا .

أوزان الأحجار الكريمة وأحجامها

زودنا إبن الأكفاني بأوزان وأحجام الأحجار الكريمة ، وضرب أمثلة ونماذج على ذلك ، مستخدما المعايير المتعارف عليها في ذلك الوقت ، وهي المثاقيل (مقدار المثقال الواحد أربعة وعشرين حبة)[٥٦] ، وقيل المثقال يساوي درهم ونصف ويساوي(١٨) قيراط أو(٧٢) حبة[٥٧] . كما إستخدم أيضا القراريط ، والقيراط يساوي(٤) حبات قمح ، ويساوي نصف دانق ، والحبة تساوي ٤٤٦% من الغرام[٥٨] ، كما ذكر أثمانها بالدنانير والدراهم .

ونذكر نماذج منها : قيل ان قيمة مثقال الماس مائتي دينار وما كان بقدر البندقة أو قاربه ، تتراوح بين ثلثمائة دينار إلى خمس مائة دينار[٥٩] . وكان عند الخليفة المقتدر فص بشكل ورقة الآس عرف بهذا الإسم ، وزنه مثقالان إلا شعيرتين ، إشتراه بستين ألف درهم[٦٠] . ويُحكى ان معز الدولة كان قد أهدى إلى أخيه ركن الدولة فصا من الماس (خاتما) وزنه ثلثة مثاقيل[٦١] . ومثلما يقال ان أسعار الماس والدر ، يقال عن الياقوت فقد بلغ ثمن المثقال الفائق من الياقوت الأحمر ثلاثة آلاف دينار . وفي عهد الدولة العباسية أيام الخليفة المأمون كان وزن طسوج منه يساوي خمسة دنانير ، وضعفه عشرين دينارا ، وسدس مثقال ثلثون(ثلاثون) ، وثلث مثقال مائة وعشرين دينار ، ونصف مثقال أربعمائة دينار ، والمثقال بألف دينار ، والمثقال والنصف بألفي

دينار[٦٢] . وزعموا ان رسم القيم في سوق الجوهر ببغداد ومصر وغيرها يُقاس بالنسبة إليهما وكانت بغداد ، العاصمة العباسية ، معرضا لأنفس أنواع الجواهر ، وكان سوق الجوهر ، إلى جانب سوق الصاغة ، يزدحم بدكاكين الجوهريين المليء بأقفاص من الحديد تضم مجاميع المعادن الثمينة والأحجار النفيسة المختلفة من الياقوت والماس والزمرد والبلخش[٦٤] ، والأخير حجر كريم أحمر شفاف صافي يضاهي الياقوت في اللون والرونق إلا انه أقل صلابة[٦٥] . وكان من أشهر تجار المجوهرات ببغداد آل الجصاص ، ومنهم الحسن بن عبدألله الجصاص ، وكان يملك بيتا كبيرا يبيع فيه المجوهرات[٦٦] ، ومنهم أيضا نصر الجوهري الذي وضع كتابا في دراسة الجواهر وأوصافها[٦٧] ، وهو القائل في معالجة اللؤلؤ إذا ما ذهب ماؤه وصفاؤه[٦٨] .

إستعمالات الجواهر والأحجار الكريمة

تعددت إستعمالات الجواهر والأحجار الكريمة ، فقد إقتصر البعض على كونه عنصر جمالي لزخرفة الملابس وترصيع الحلي ، ودخل البعض الآخر في مجال الصناعة وغلإنتفاع به طبيا كصناعة الأدوية وصناعة الأصباغ وغيرها .

لقد مر بنا في بداية بحثنا هذا نماذج عديدة لإستخدام الأحجار الكريمة كعنصر زخرفي منذ العصور التاريخية الأولى ، وإستمر خلال العصور الإسلامية ، وهاهي صفحات التاريخ تمدنا بالعديد من الشواهد والأمثلة على ذلك منها ما جاء في سنة (١٠١هـ) حيث كان الخليفة الاموي يزيد بن عبد الملك يكافيء الشعراء المبدعين بملىء أفواههم بالجواهر[٦٩] . وكان الخليفة الوليد بن يزيد يغير جواهره يوميا كالثياب ويُغالي بإقتنائها[٧٠] . وكان لدى الخليفة عبد الملك بن مروان لؤلؤة كبيرة الحجم عُرفت بـ (اليتيمة) تجمع صفات الحسن كلها(مدحرجة ، نقية ، رطبة ، رائقة) وكان وزنها ثلاثة مثاقيل[٧١] . كما أقبلت المرأة العربية الاموية على إقتناء العديد من الحلي ، فهذه عبدة ، زوجة الخليفة هشام ، كانت تملك قميصا(بدنة) لم ير مثله في الإسلام ، يُزين ظهره وصدره خطان من الياقوت والباقي حبات الدر الكبار[٧٢] .

ويمضي الامويون في ذلك قدما فيرصعون آنيتهم بالجواهر والعقود لهم ولنسائهم وجواريهم .

وغالى العباسيون بإقتناء المجوهرات والأحجار الكريمة فإتخذوها عنصرا زخرفيا لملابسهم وحليهم[٧٣] ، كما تروي لنا النصوص التاريخية . جاء عن أم سلمة المخزومية ، زوجة الخليفة أبي العباس السفاح ، ان دخل عليها زوجها فوجدها جالسة على منصة وكل عضو منها مكلل بالجوهر[٧٤] . وإتخذت علية بنت المهدي(١٦٠هـ) العصائب المكللة بالجوهر لتستر جبينها فقلدتها معظم النساء[٧٥] . وزبيدة ، زوجة الخليفة الرشيد ، يروى ان زوجها أعد لها ما لم يُعد لإمرأة من قبل من الجواهر والحلي كالتيجان المرصعة[٧٦] ، كما رصعت خف قدميها بالجوهر ، وكان الرشيد قد إشترى فص ياقوت أحمر نقش عليه إسمه عُرف بـ (الجبل) لإرتفاعه وكبر حجمه ،

بثلثمائة ألف دينار وقيل أربعين ألف دينار ، كما إشترى الدرة اليتيمة . وأُهدي له من ملك الهند هدية ضمنها قضيب زمرد أطول من ذراع وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر... فأهداه بدوره إلى زوجته زبيدة ومنها إلى الأمين ثم المأمون حتى صار إلى المعتصم ...[٧٧] .

لقد كانت خزائن الخلفاء والأمراء تزخر بالجواهر النفيسة فقد ذكر الفضل بن الربيع (لما ولي محمد الأمين الخلافة بعد أبيه هارون الرشيد سنة ١٩٣هـ) :" أمرني أن أُحصي ما في الخزائن من الكسوة والفرش ... وكان الموجود فيها ... من الجوهر ما قومه الجوهريون بأربعة آلاف ألف دينار وخمس مئة ألف دينار ..."[٧٨] .

وقُدرت خزائن المأمون المليئة بالجواهر والحلي تحت إشراف (جمرة العطارة) بما قيمته ألف ألف ومئة ألف ألف وستة عشر ألف ألف درهم[٧٩] . وزاد إمتلاء هذه الخزينة بالجواهر النفيسة والحلي في عهد الخليفة المقتدر بالله (٢٩٦ ـ ٣١٦هـ / ٩٠٨ ـ ٩٢٨م) فاستخدم البعض منها في تمثيل ثمار الشجرة الذهبية في قصر الشجرة الشهير ، كما زخرف العباسيون قصورهم وأثاث منازلهم من الموائد والأسرة ومرافع الطعام المصنوعة من الذهب والفضة والمرصعة بالجواهر والحصر المنسوجة بخيوط الذهب المكللة بالدر والياقوت ، نذكر منها على سبيل المثال ما جاء ضمن الروايات التاريخية والأبيات الشعرية : عندما جُليت بوران على المأمون فرش لها حصير من الذهب مكللا بالدر والياقوت وجيء بكيل مرصع بالجوهر وفيه در كبار نثرها على النساء[٨٠] . ومما يذكر ان السيدة شجاع أم المتوكل ان تركتها من الجواهر قُدرت بمليون دينار[٨١] ، وكانت تركة قبيحة أم الخليفة المعتز من اللؤلؤ والياقوت والزمرد ما قيمته مليونين من الدنانير[٨٢] ، وصنعت مخارق أم المستعين بساطا لايصدقه العقل يزدان بزخارف ذات عناصر حية لأشكال حيوانية من طيور وحيوانات أجسامها من الذهب وعيونها مرصعة بالياقوت والجواهر الثمينة[٨٣] أنفقت عليها (مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار) أي (مائة وثلاثون مليون دينار)[٨٤] .

إستخدم العباسيون الجواهر كما تستخدم الحوالات المالية والأوراق النقدية في يومنا هذا ، كما كانوا يتهادون بها فقد أهدى الخليفة المأمون إلى الحسن بن سهل عقدا قيمته ألف ألف درهم ، وأهدى إلى ملك الهند فرسا بفارسه وجميع آلاته من عقيق[٨٥] ، وقيل بل فارسا بفرسه من عنبر شحري أشهب[٨٦] . وأهدى المعتضد بالله سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م إلى خمارويه كيسا من الجواهر كان بضمنها درو ياقوت ، وأهدى الواثق لجاريته فريدة عقدا رائعا لامثيل لجوهره كان يحتفظ به داخل درج من خشب[٨٧] .

وأهدت أم المقتدر إلى الوزير الحسن بن الفرات سنة ٣٠٣هـ هدايا كثيرة من بينها تاج مرصع بالجواهر وعشرة آلاف دينار[٨٨] . ومن مصر تتحفنا النصوص التاريخية بإشارات عديدة عن دور خزائن الجواهر والأحجار الكريمة وبضمنها التحف والأواني المرصعة بالدر والجواهر وكذلك تماثيل الزينة[٨٩] .

الإستعمالات الطبية

من جانب آخر ، إستعمل العديد من الأحجار كمادة علاجية ، كل حسب لونه ومحكه . قال أرسطو في هذا المجال :" إذا كان الحجر أبيض ومحكه أصفر فمن أمسكه كان صادقا إذا تكلم أو كاذبا لايرد كلامه وإن كان أحمر فكل شيء يرتفع سريعا ، وإن خرج إغبر بلون الأرض فكل من إستعان به في شيء في عمله يصح به ويسمع منه ، وإن خرج أخضر كأن علق في بستان أسرع في خروج غرسه ويعظم الأشجار سريعا ، وإن خرج أسود أبرأ من سقي السم القاتل ومن لدغ الحية والعقرب"[٩٠] .

ومن هذه الأحجار نذكر البادزهر ، ويُعرف بحجر السم ، يحفظ قوة الروح ، ويدفع ضرر السم ، وحجر البلور يدفع الفزع أثناء النوم... وحجر الجزع يورث الغم ، أما فوائده الطبية والنفسية فهو يُسهل الولادة ويقطع الدم ويُنقي الأسنان ويُبيضها ، كما يُستخدم في جلي الياقوت والمرجان من الأوساخ ... ويروى عن الرسول الكريم (ص) انه قال :" العقيق لنا والجزع لأعدائنا "[٩١] .

ومنها أيضا حجر عجين إذا وضع في الأماكن الدافئة يصبح طريا ، ويمكن جعل خيوط منه مثل خيوط الكتان ينسج منها ثيابا ومناديل إذا إتسخت وأُلقيت في النار تزول منها الأوساخ ولا تحترق[٩٢] . وحجر الشب ، وهو أبيض شفاف ضارب إلى الصفرة يستخدم في إيقاف رعاف ونزف الأنف ، ويُدمل الجروح ، ويبرىء القروح ، ويُزيل أوجاع الأسنان ويثبتها[٩٣] .

أما النوع الثاني من الأحجار فهي الأحجار الكريمة ، فبالاضافة إلى جمالها ورونقها ، تُعد ذات فوائد طبية كبيرة إتفق عليها دارسو الأحجار الكريمة وأشاروا إليها في مؤلفاتهم ، ولإبن الأكفاني باع طويل في هذا المجال ، من ذلك :

حجر الياقوت ويكثر في جبل الراهون في جزيرة سرنديب[٩٤] وهو أشرف أنواع الجامدات ، وسيد الأحجار ،اصلبها وأشدها صقالا ، ويظهر شعاعه على ضوء الشمع أحمر ، وللحصول عليه يتبع عدة طرق منها ، طرح كميات من اللحوم إلى الوادي ترفعها النسور إلى سفح الجبل بعد إلتصاق الأحجار بها وعندالرفع تسقط الأحجار فيسهل إلتقاطها[٩٥] . ويكون بعدة ألوان حسب حرارة الشمس في المنطقة ، فمنه الأحمر إذا زادت الحرارة ، وأصفر إذا قلت ، وأبيض إذا إعتدلت ، وإذا تعادلت الرطوبة مع اليبوسة(الجفاف) كان لونها أحمر (الاسماتجوني ـ أزرق أو بنفسجي) . ومن ألوان الياقوت البهرماني ،والارجواني والجلناري ثم اللحمي والبنفسجي والوردي[٩٦] . والياقوت حجر لايذوب ولا يؤثر فيه غير الماس فيثقب به . أما الفوائد الطبية لهذا الحجر الكريم ، كما يعتقد ، فقد تعددت آراء رجال الطب القدماء فيه ، ويذكر أرسطوطاليس :إذا علق شيء منه على إنسان أكسبه مهابة في أعين الناس وسهل عليه قضاء حوائجه ، ودفع عنه شر الطاعون . ويصفه إبن سينا : " إن خاصيته في التفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم . ويضيف الغافقي على ذلك بقوله : ينفع في وقف نزيف الدم ويمنع جعوده[٩٧] ، ويرى إبن زهر ان مسحوق الياقوت يفيد مرضى الجذام ، وإذا ما لبس خاتم الياقوت منع الصرع ، وقال عنه إبن وحشية

ان لليـاقوت الأبـيض تـأثيرات نفسـية علـى لابسـه فهـو يوسـع الـرزق ويحسـن الحالـة المعيشية له[٩٨] .
ومن الأحجار الشبيهة بالياقوت حجر البجادي لكنـه أقل بريقا وضياءا منـه . ويذكره التيفاشي " بأنه حجر فيـه خمريـة أحمر يعلوه بنفسجي ، كثير المـاء ، لاشـعاع لـه إلا القليل ، وإذا كان له شعاع فهو يشبه الياقوت ..."[٩٩] . وفوائده " إذا علق على الصدر يقطع الرعاف ونزف الدم ، والأصفر منه يُتعطر بـه خلـوق " ، كـان كثير الإستعمال لدى العباسيين[١٠٠] .
أمـا جـوهر المـاس [١٠١] فيشـبه اليـاقوت فـي القـوة والصـلابة ، وهـو شـفاف ، أشـكاله مضرس مخروطي أو بشكل مثلثات ، يستعمل في العراق كمثقب لثقب الجواهر عامة ، وألوانـه ، الأبـيض والزيتـي والأصـفر والأحمروالأخضـر والأزرق والأسـود ثـم الفضي والحديدي . يقول التيفاشي : الماس نوعين بلوري أبيض شديد البياض وزيتـي يخالط بياضه صفرة كلون الزيت . وقـال أرسطوطاليس : " متـى مـا كـان فـي مجـرى البـول حصـاة فتلصـق حبـة مـن هـذا الحجـر فـي حديـدة لتمـاس الحصـاة فتفتتهـا " . ولايجوز أن يدخل الفم لأنه يكسر الأسنان ويمزق الأحشاء فهو قتال لامحال .
ويتولـد الـدر أو اللؤلـؤ داخـل بعـض الأصـداف كمـا يتكـون البـيض فـي الحيـوان البياض[١٠٢] ، وإختلفت الآراء في تكونه كما إختلفت الأسماء بإختلاف حجوم الحبات فمنها الكبار وتُعرف بـ (اليتيمة) ، يصل وزنها ثلاثة مثاقيل أو أكثر ، كاملـة التدحرج ، رطبة ، نقية ، ويُعرف اللؤلؤ المدحرج بـ (العيون) ، وإذا كـان تـام الإستدارة كثير الماء فهو (نجما) . ومنها أيضا اللؤلؤ المستطيل الزيتوني والغلامي إذا كـان مستدير القاعدة ، مخروط الـرأس ، ومنـه الضـرس ، وهـو أدونهـا شـكلا ، كمـا إختلفت ألـوان اللؤلؤ فمنه الناصع البياض ومنه الرصاصي ومنه العاجي والأصفر وإذا طال الزمان عليه كان أسودا . ويتم ثقب اللؤلؤ بمثقب من الماس ، أمـا التداوي بـاللؤلؤ فقد إقتصـر إستخدام البكر منـه ، وتُعرف اللؤلـؤة غير المثقوبـة بإسم (الخريـدة) ويتم العـلاج بهـا كالآتي : تُسحق كمية قليلة منها ثم تُعجن بعصير حامض(الأترج) ويوضع في دن فيـه خـل لمـدة ثلاثـة أسـابيع حتـى ينحـل ويسـتخدم محلـولا أو طـلاء فـي معالجـة كثيـر مـن الأمـراض النفسـية فيُفـرح القلـب ويُبسـط الـنفس ويُصـفي الـدم ويزيـد مـن قـوة البصـر ويقطـع نـزف الـدم ويبـرىء الصـرع والشـقيقة ، كمـا يبـرىء مـن البهـق والبـرص والكلف[١٠٣] .
ومـن الأحجـار الكريمـة الأخـرى الزمـرد ، ويصـفه الغزولـي بأنـه " أنفس النفـائس ، أخضر اللون ، ذا رونق وشعاع لايشوبه سواد ولا صفرة ولا عروق بيض ..."[١٠٤] .
وأحسن أصـنافه الريحـاني الشبيه بـورق الريحـان الطـري ، موطنـه فـي أرض النوبـة بصعيد مصر العليا[١٠٥] . ويكون في الغالب بشكل خرز مستطيلة ، ذات خمسة أسطح ، وهـي علـى العكـس مـن اللؤلـؤ فيكـون الفـص الواحـد غيرمثقـوب . ومـن أصـنافه الذباني(تشبه ذبابة المروج الخضر) ، وفوائده الطبية : فإن سُحق مع الماء يُشرب فـي حـالات التسـمم النـاتج عـن نهـش الأفعـى أو لدغـة العقـرب ، ويوقـف مـرض الجـذام

والإسهال ، ونفث الدم ، ويقوي الأسنان . ومن أنواعه أيضا السلقي الشبيه بورق السلق ، والصابوني كلون الصابون ، والأخير أقل الأنواع قيمة ، ثم العربي وهو موجود في الحجاز من أرض العرب .
وهناك حجر آخر شبيه بالزمرد يُعرف بالزبرجد ، وأصل الكلمة سامية لايفرق اللغويون بينهما ، إلا ان الفنيين لهم رأي آخر فيه ، فالزبرجد نوع آخر من الحجارة فستقي اللون شفاف ، وقيل هو من حجارة الذهب في معدنه . وفي منافعه قيل (دفع شر العين)[١٠٦] . ومن الأحجار الصلبة الكريمة حجر نحاسي أزرق يُعرف بحجر النصرأو(الغلبة) أو حجر(العين) أيضا وهو(الفيروزج) ، وهو حجر أصلب من اللازورد صقيل مشرق ، قال إبن زهر فيه : " ان الملوك تُعظم هذا الحجر لأنه يدفع القتل عن صاحبه"[١٠٧]، وينفع في لدغة العقرب ، وقيل انه يقوي القلب والنفس أكثر من سائر الأحجار الأخرى[١٠٨] .
ويذكر إبن الأكفاني حجر اللازورد ضمن كلامه عن حجر الفيروزج وأشار إليه التيفاشي كذلك إذ قال فيه :" وهو حجر رخو طيني أجوده أشده إشراقا وأصفاه لونا وهو السماوي المستوي الصبغ إلى الكحلة ، ولإختبار الجيد من المغشوش (توضع قطعة منه في جمر بدون دخان فيتصاعد على الفور لسان من النار منصبغا بلون اللازورد مع بقاء قطعة اللازورد على ما هي عليه[١٠٩] . ومن الجدير بالذكر ان العراقيين القدماء كانوا قد عرفوا إستخلاص الألوان الزرقاء من حجر اللازورد كمصدر معدني ، وما التعبير السومري(ZA . GIN . KUR . RA) إلا إشارة إلى اللازورد الجبلي والمستخدم لصناعة أختام منه ، وقد تم العثور على نماذج عديدة من بقايا الصبغات المستخلصة من أحجار اللازورد في قصر سرجون الثاني في خرسباد فالكلمة
(Uqnu) تعني بالأكدية اللازورد وتعني أيضا اللون الأزرق المستخلص منه[١١٠] .
كما تشير الكلمة السومرية السابقة إلى صبغة ذات لون ذهبي ويراد به تشبيه لمعان اللون الأزرق بلمعان الذهب[١١١] ، واشير إلى اللازورد في العهد القديم في سفر أيوب الاصحاح ٢٨ :٥ " الأرض ... حجارتها هي موضع الياقوت الأزرق وهي تراب الذهب"[١١٢] . و ورد ذكر الحجر في رسائل تل العمارنة في مصر وهو من مناطق الآشوريين[١١٣] . وعُرف عند اللغويين من العرب بـ (العوهق) . وهناك حجر البلور الذي يستخرج من باطن الأرض ، وهو حجر ساطع البياض صلبا ، يُجلب من جزيرة سرنديب ومن المغرب الأقصى ومن النجف في العراق حيث يوجد بلور صاف تتخذ منه الخواتم والأواني منذ قبل الإسلام وصدر الإسلام وخلال العصر العباسي ، ولحسنه وشهرته في العراق كله وما جاوره يسمى (در النجف) ، وإتخذ منه عمل وسائل الإضاءة فكان منه ما يسمى(ثريا) وتُعرف في مصر بـ (النجفة)[١١٤].
ومن الأحجار الكريمة التي ذكرها إبن الأكفاني (الجمز) ، وهو حجر يشبه الياقوت البنفسجي أعلاه وردي ، يفيد في وجع المعدة . وحجر آخر رخو شديد الخضرة

يُعرف بـ (الدهنج) . قال صاحب (اللسان) : والدهنج حصى أخضر تحلى به الفصوص . وقال أرسطو فيه : ان الدهنج حجر نحاسي مثل اللازورد يغطي الوجه خطوط سود دقاق جدا وربما شابه حمرة خفيفة ، ومن أنواعه(الطاووسي) وهو شبيه بتموج ألوان ريش الطاووس ومنه ما يُعرف بـ (الموشى)[١١٥]أو الفرندي نسبة إلى الفرند (جوهر السيف) ، ويفيد في جلو بياض العين وصفاءها .
وللدهنج فوائد أيضا فهو يفيد في جميع حالات التسمم[١١٦] . وحجر اليشب أو اليشم وهوحجر شبيه بحجر الزبرجد لكنه أكثر شفافية وصفاء ، وألوانه : الأخضر والأبيض ، وهو على نوعين ، حجري معدني صلب أصفر كلون العاج العتيق يميل إلىالزرقة ، والآخر أبيض مصنوع في الصين تزين به السيوف والسروج[١١٧] . ومن الناحية الطبية ينفع في حالات وجع المعدة والأحشاء . ومن أعماق نهر دجلة الخالد عند الموصل يستخرج حجر أملس ثقيل مكزز إذا لُحس لحسا متواترا خرج منه طعم الزعفران ، وينفع أيضا في وجع الكلى ويسهل ضيق التنفس[١١٨] .
وحجر آخر إذا وضع في الأماكن الدافئة أصبح لينا كالعجين يمكن مده بشكل طولي كالكتان ثم يُنسج منه ثياب ومناديل متى إتسخت ألقيت في النار فيزول عنها الوسخ ولا يحترق يُعرف بحجر عجين[١١٩] .
ويذكر إبن الأكفاني نوعا من الأحجار هو(بازهر) ذو أصل معدني وحيواني . والأول ذو لون أبيض وأصفر وأغبر ومنكث(أي فيه نقط سود وبيض) وهو أفضلها ، يوضع على لسعة العقرب أو الزنبور فيمتص السم[١٢٠] .
يختتم إبن الأكفاني كتابه بذكر(الخرتون) وهو من أصل حيواني، قيل يؤخذ من جبهة ثور أو جبهة طائر عظيم ، ويزعمون انه يعرف إذا قُرب من طعام مسموم (أي يستخدم لإختبار الأطعمة قبل تناولها) . وهناك أعداد كبيرة من الأحجارأهمل ذكرها عند إبن الأكفاني طلبا للإختصار في حين أشار إليها غيره منهم التيفاشي مثل(البنغش) أجمله(ماذنبي أحمر فاتح) والعقيق وهو خمسة أنواع أجملها الأحمر ثم الجزع والمرجان والطلق والسبج وهو حجر أسود تصنع منه المرايا وفصوص الخواتم ، وغيرها الكثير[١٢١] .
وختاما هذه صفحة أخرى من صفحات حضارتنا العريقة تعرفنا من خلالها على مدى ما وصل إليه الفنان العربي المسلم في تسخير كنوز الأرض ، وما حوته من خامات طبيعية حولها بجهوده إلى أزهار لاتذبل ولا يزول عطرها .

الهوامش

(١)دلمون ، وتعني(عُمان) و(مكّان) أي(ساحل عُمان) ، ربما كانت تقع على ساحل بلوخستان أو شمال غرب الهند أو جنوب الجزيرة العربية أو ساحل الصومال . ساكس ، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، بغداد ،ص٣١١ .
(٢)المصدر نفسه ، ص٣١٤ .
(٣)المصدر نفسه ، ص٣١٣ .

(٤)المصدر نفسه .
(٥)الجادر ، وليد ، "الأزياء والاثاث" ،حضارة العراق ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ج٢ ، ص٣٦٦ .
(٦)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٧٨ .
(٧)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٦٧ . بصمجي ، فرج ، كنوز المتحف العراقي ، (بغداد ، ١٩٧٢) ، ص١٦٨ ـ ١٧١ .
(٨)المصدر نفسه ، شكل ٩٣ ، رقم ٢٦٨٣٣ م.ع.
(٩)المصدر نفسه ، ص١٧٢ .
(١٠)الجادر ، وليد ، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر ،بغداد ، ص٢٦٥ .
(١١)المصدر نفسه ، ص٢٨٦ .
(١٢)المصدر نفسه ، ص٢٨٧ .
(١٣)الجادر ، الأزياء ... ، ص١٩٤ .
(١٤)بصمجي ، المصدر السابق ، ص٢٩٨ .
(١٥)بارو ، أندريه ، بلاد آشور ـ نينوى ـ بابل ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه ، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص٥٤.
(١٦)بصمجي ، المصدر السابق ، ص٢٠٠ .
(١٧)المصدر نفسه ، لوح٢٢٢ ، رقم٥٦٧٥٢ م.ع.
(١٨)المصدر نفسه ، لوح ٢٣٠ ، رقم٦٠٤٨٥ م.ع.
(١٩)الأصفهاني ، أبو فرج ، الأغاني ، ج١٢ ، ص١٤٣ .
(٢٠)النجار ، عبد الوهاب ، الخلفاء الراشدون ، بغداد ، ص١٦٧ ـ ١٦٨ .
(٢١)إبن الزبير ، الرشيد ، الذخائر والتحف ، ص١٥٧ ـ ١٥٩ .
(٢٢)عن الطبري : مرزوق ، محمد عبد العزيز ، الطنافس اليدوية في العصر الإسلامي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ص١٤ .
(٢٣)زكي ، عبد الرحمن ، الأحجار الكريمة ، القاهرة ، ص٦ .
(٢٤)إبن الأكفاني ، محمد إبن إبراهيم ، نخب الذخائر في أحوال الجواهر ، تحقيق انستاس ماري الكرملي ، الملحق الثاني ، (بيروت ، ١٩٨٤) ، ط٣ ، ص١٠٨ .
(٢٥)زكي ، المصدرالسابق ، ص١١ .
(٢٦)عبد الرحمن ، حكمت نجيب ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، (بغداد ، ١٩٧٧) ، ص٣٠٩ .
(٢٧)المصدر نفسه ، ص٣١٠ ـ ٣١١ .
(٢٨)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص١١٤ .زكي ، المصدر السابق ، ص١٥ .
(٢٩)المصدر نفسه ، ص١١٥ .
(٣٠)المصدر نفسه .
(٣١)الكرملي ، المصدر السابق ، الملحق ، ص١١٤ ـ ١١٦ .
(٣٢)زكي ، المصدر السابق ، ص١٦ .
(٣٣)المصدر نفسه ، ص١٥ .
(٣٤)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص١ .
(٣٥)المصدر نفسه ، ص٨٤ .
(٣٦)توجد نسخة في بيروت منقولة عن هذه النسخة(في بغداد) ، والثانية في باريس ، وإثنان منها في دار الكتب المصرية ، ونسخ أخرى يحتفظ بعضهم بها شخصيا .
(٣٧)الكرملي ، المصدر السابق ، ص١١٠ ـ ١١١ .

(٣٨)إبن الكفاني ، المصدر السابق ، ص٢١ . الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، (بيروت ، ١٩٨١) ، ج٢ ، ص٣٨٠ .
(٣٩)الكرملي ، المصدر السابق ، ص٣٥ .
(٤٠)إبن سيده ، المخصص ، (مصر ، ١٣١٦هـ) ، ج٢ ، ص٤٠ .
(٤١)المغربي ، أحمد بن عوض ، قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار و نتائج المعارف والأسرار ، تحقيق بروين بدري توفيق ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص١٨٨ .
(٤٢)المصدر نفسه ، ص٢٢ . مثل الماس والفلسار والعقيق الأحمر وعين الهر وحجر اليشم وغيرها .
(٤٣)المصدر نفسه ، ص٢٠ .
(٤٤)المصدر نفسه ، ص١٧ .
(٤٥)المصدر نفسه ، ص٢١٠ .
(٤٦)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٧ .
(٤٧)المصدر نفسه ، ص٣٥ .
(٤٨)زكي ، المصدر السابق ، ص٢٥ .
(٤٩)المغربي ، المصدر السابق ، ص٥٤ .
(٥٠)عن التيفاشي ، الكرملي ، المصدر السابق ، ص٣٥ .
(٥١)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٣٦ .
(٥٣)الأسرب ، المعدن الرديء أو الرصاص الأبيض . إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٢٢ .
(٥٤)الأبشيهي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٨٠ .
(٥٥)زكي ، المصدر السابق ، ص٥٣ .
(٥٦)الكرملي ، المصدر السابق ، ص٢٣ ، حاشية ٣ .
(٥٧)المغربي ، المصدر السابق ، ص٣٧٧ .
(٥٨)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٢٣ . الدانق يساوي (٨) حبات قمح .
(٥٩)المصدر نفسه .
(٦٠)المصدر نفسه ، ص٩ .
(٦١)المصدر نفسه ، ص٢٣ .
(٦٢)المصدر نفسه ، ص٨ . الطسوج يساوي حبتان من الدوانق . إبن منظور ، جمال الدين ، لسان العرب ،مادة طسوج .
(٦٣)زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج٥ ، ص١٠٨ .
(٦٤)كتاب ألف ليلة وليلة ، ج٤ ، ص٣٥١ .
(٦٥)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص١٤ . الأبشيهي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٨٠ .
(٦٦)زيدان ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٤٥ .
(٦٧)جواد ، مصطفى ، سيدات البلاط العباسي ، (بيروت ، ١٩٥٠) ، ص٢٥ .
(٦٨)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص١٤٧ . زيدان ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٢١ .
(٦٩)الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص١٤٧ . زيدان ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٢١ .
(٧٠)زيدان ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٠٥ .
(٧١)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٣٥ .
(٧٢)الشابشتي ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، ص١١٠ .
(٧٣)كحالة ، عمر رضا ، دراسات إجتماعية في العصور الإسلامية ، ص٢٧٢ .
(٧٤)عواد ، ميخائيل ، صور مشرقة في حضارة بغداد في العصر العباسي ، بغداد ، ص١٢٣ .

(٧٥)كحالة ، المصدر السابق ، ص٢٧٢ .
(٧٦)الشابشتي ، المصدر السابق ، ص١٠٠ .
(٧٧)إبن الزبير ، المصدر السابق ، ص٢٠٠ .
(٧٨)المصدر نفسه ، ص٢١٥ .
(٧٩)المصدر نفسه ، ص١٨٤ .
(٨٠)الغزولي ، مطالع البدور في منازل السرور ، ج٢ ، ص٤٥ . جواد ، المصدر السابق ، ص٥٣ .
(٨١)إبن الزبير ، المصدر السابق ، ص٢٣٥ .
(٨٢)المصدر نفسه ، ص٢٣٦ .
(٨٣)الأبشيهي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٤٦ .
(٨٤)جواد ، المصدر السابق ، ص١٦ .
(٨٥)الخالديين ، التحف والهدايا ، ص١٦٣ .
(٨٦)إبن الزبير ، المصدر السابق ، ص٢٧ .
(٨٧)جواد ، المصدر السابق ، ص٦٨ .
(٨٨)إبن الزبير ، المصدر السابق ، ص٢٧ .
(٨٩)المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٤٠٩ ـ ٤٢٥ . زيدان ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٠٩ .
(٩٠)المغربي ، المصدر السابق ، ص٥٧ .
(٩١)المصدر نفسه ، ص٩١ .
(٩٢)المصدر نفسه ، ص١٣٢ ـ ١٣٣ .
(٩٣)المصدر نفسه ، ص١٢٥ .
(٩٤)يقع جبل(راهون) في جزيرة طولها (٦٠) فرسخا في مثلها وراء سرنديب وهي جزيرة سيلان . إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٨٠٧ .
(٩٥) المغربي ، المصدر السابق ، ص١٨٠ .
(٩٦)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٢ . المغربي ، المصدر السابق ، ص١٨١ .
(٩٧)إبن الأكفاني ، المصدر نفسه ، ص٧ . المغربي ، المصدر نفسه ، ص١٨١ .
(٩٨)إبن الأكفاني ، المصدر نفسه ، ص٧ .
(٩٩)المصدرنفسه ، ص١٧ .
(١٠٠)المصدر نفسه ، ص١٩ .
(١٠١)يتوفر في بلاد الهند في وادي ويمكن الحصول عليه بنفس الطريقة التي يحصل بها على الياقوت .إبن الأكفاني ، المصدر نفسه ، ص٢٥ .
(١٠٢)المصدر نفسه ، ص٢٨ .
(١٠٣)المصدر نفسه ، ص٣٩ ـ ٤٠ .
(١٠٤)المصدر نفسه ، ص٤٨ .
(١٠٥)وتعرف بأرض(البجاة) . المصدر نفسه ، ص٤٩ . ويذكر التيفاشي : يؤتى بالزمرد من تخوم بلاد مصر والسودان خلف أسوان .
(١٠٦)إبن الأكفاني ، المصدر نفسه ، ص٥٤ .
(١٠٧)المصدر نفسه ، ص٦١ .
(١٠٨)المصدر نفسه ، ص٦٢ .
(١٠٩)عن التيفاشي ، الكرملي ، المصدر السابق ، حاشية (٢) ، ص٥٧ .
(١١٠)الجادر ، الحرف ... ، ص١٧٠ .

(١١١)المصدر نفسه ، ص١٧٤ ـ ١٧٥ .يذكر عن لوكال تارزي ملك كيش الذي ذكر أعمالـه بكل فخر على رقيم من حجر اللازورد .
(١١٢)المصدر نفسه ، ص١٧٩ .
(١١٣)المصدر نفسه ، ص١٨١ .
(١١٤)الكرملي ، المصدر السابق ، ص٦٥ .
(١١٥)إبن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص٧٠.
(١١٦)المصدر نفسه ، ص٧٢ .
(١١٧)المصدر نفسه ، ص٧١ .
(١١٨)عن الكتبي ، المغربي ، المصدر السابق ، ص١٣٢ .
(١١٩)المصدر نفسه ، ص١٣٣ . وقيل هو الحجر الفتيلة وسماه العباسيون مخاط الشيطان . إبن الأكفاني ،المصدر السابق ، ص١٢٣ .
(١٢٠)المصدر نفسه ، ص٧٨ .
(١٢١)يراجع كتاب(نخب الذخائر في أحوال الجواهر) للإطلاع على مجموعة الملاحق .